طاعة الحاكم ضرورة شرعية وقيمة حضارية

الأستاذة الدكتورة رشيدة بوخبرة

جامعة ابن طفيل بالقنيطرة

مقدمـــة:

الحمد لله الذي يسر لنا هذا الدين، وأمرنا باتباع صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم القويم إلى يوم الدين، أما بعد فقد خلق الله عز وجل الإنسان في أحسن تقويم، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، وسخر الكون لخدمته، وبين الغاية من خلقه، فقال عز من قائل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والانس إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]. إلا أن مفهوم العبادة في ديننا الحنيف لا يقتصر على إقامة الشعائر التعبدية فحسب، بل يتمثل في إقامة منهج الله في الأرض، وإعمارها ماديا وروحيا وفق تعاليم الإسلام السمحة. وكان من رحمة الله تعالى بعباده أن يتعبدهم بما فيه صلاحهم وفلاحهم في دنياهم وأخراهم، قال عز من قائل: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[2]. ولهذا قرر العلماء أن الشريعة إنما وضعت لإقامة مصالح العباد في المعاش والمعاد، أوفي العاجل والآجل"[3]. أما الإنسان فإنه أعجز من أن يحيط بحقيقة مصالحه ويوفق بينها. يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "إن المصالح التي تقوم بها أحوال العبد لا يعرفها حق معرفتها إلا خالقها وواضعها"[4].

ومن عظيم رحمته وحسن تدبيره عز وجل أن شرع للأمة وجود الحاكم، فوجوده منة كبرى، ونعمة عظمى. به يحفظ الدين، وتصان أعراض وأموال المسلمين، وتجتمع على رأيه الكلمة، وتتحد الصفوف، وتحقن الدماء، وينعم المجتمع بالأمن والسلام.

---

[1] الذاريات 56

[2] الملك 14

[3] الموافقات للإمام الشاطبي ج2/ص6

[4] الموافقات ج1/ص 243

وفي هذا البحث تأصيل شرعي لوجوب طاعة الحاكم، وبيان لأثر هذه الطاعة على الأفراد والمجتمعات، وأنها دعامة أساسية لقيام الدول وبناء صرح الحضارات.

المبحث الأول: الحاكم ضرورة لقيام الدولة واستمرارها.

المطلب الأول: الحاكم ضرورة شرعية.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، قال الإمام القرطبي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: "هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخلافة"[2]. وبين ابن كثير ضرورة تنصيب الحاكم بقوله: "ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويقطع تنازعهم، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم...إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بإمام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[3].

ونفس المعنى أكده الطاهر بن عاشور رحمه الله بقوله عند تفسيرها: "فكانت الآية من هذا الوجه إيماء إلى حاجة البشر إلى إقامة خليفة لتنفيذ الفصل بين الناس في منازعاتهم، إذ لا يستقيم نظام يجمع البشر دون ذلك"[4].

هكذا نرى أن الآية الكريمة أصل في وجوب الحاكم أو الإمام، لما يترتب على وجوده من إقامة شعائر الله تعالى وتنفيذ أمره.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم"[5]. قال الإمام الخطابي عند شرحه لهذا الحديث: "إنما أمر بذلك ليكون أمرهم جميعا، ولا يتفرق بهم الرأي، ولا يقع بينهم خلاف فيعنتوا" [6].

وإذا كان رسول الله ﷺ أوجب في هذا العدد القليل أن يؤمروا عليهم أحدهم، فمن باب أولى في أكثر من ذلك؛ لذلك نجد الأمة تجمع على ضرورة تنصيب الحاكم ليستقيم به أمر البلاد

---

[1] البقرة 30

[2] الجامع لأحكام القرآن ج1/ص250

[3] تفسير القرآن العظيم ج1/ص221

[4] التحرير والتنوير ج1/ص399

[5] أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم رقم 2242

[6] معالم السنن ج2/ص260

والعباد، وهذا ما بينه الماوردي بقوله: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة، وحراسة الدين والدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع"[1].

وقال الإمام النووي: " وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة"[2].

هكذا نخلص إلى أن تنصيب الحاكم أمر به القرآن الكريم، وأكده رسول الله ﷺ، وأجمع على ضرورة وجوده علماء الإسلام.

وما سطعت شمس حضارتنا الإسلامية إلا بفضل حكام قدروا الله حق قدره، وقدروا عظم الأمانة التي حملوها على عاتقهم، فأخلصوا في مهامهم، ونصحوا لرعيتهم، فتحقق الأمن والاستقرار، والرقي والازدهار. فعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لم تدم خلافته أكثر من سنتين ونصف، ومع قصر هذه المدة، تمكن من إصلاح الفساد، ولم الشمل، ونشر معاني الخير والصلاح، فعم الرخاء وغاب الفقر حتى أصبح الرجل يعييه أمر زكاته، حيث يبحث جاهدا عمن يستحقها فلا يجده. وما ذلك إلا بفضل الطاعة والولاء لحاكم تخرج من مدرسة القرآن، وصاغته عناية الرحمن، ففهم روح الشريعة ومقاصدها، فلم يثقل كاهل رعيته، بل كان رفيقا بهم، لم يحملهم على الحق جملة واحدة، وإنما سار معهم بتدرج حكيم، سيرا على هدي القرآن العظيم، وخطى المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. يذكر الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى أن ابنا لعمر بن العزيز – وكان من الشبان الأتقياء الصالحين، إلا أن حماس الشباب لم يمهله للنظر في مآلات الأمور- قال لوالده: "مالك لا تنفذ الأمور؟ فو الله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق. قال عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة"[3]. وآتت هذه السياسة الحكيمة أكلها في وقت وجيز بإذن ربها، وتمتعت الرعية بما أثمرته من يانع الثمرات، وأصناف الخيرات.

المطلب الثاني: الحاكم نعمة عظمى

سبقت الإشارة إلى أن وجود الحاكم نعمة عظيمة من الله تعالى بها على عباده، فهي نيابة عن النبوة في حفظ مصالح الرعية في الدين والدنيا، وهي من أعظم واجبات الدين، إذ لا تنتظم

[1] الأحكام السلطانية ص13

[2] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج 12/ص410

[3] الموافقات ج2/94

الحياة إلا بها، ولا يسود الأمن والاستقرار إلا بوجودها، قال الثعالبي رحمه الله: "وما أشبه حاجة الرعية إلى الراعي كحاجة الجسد إلى الرأس، وما أقرب فضل الراعي على الرعية في فضل الفرائض والسائس والفارس على الدابة، ولولا الملوك لأكل الناس بعضهم بعضا، كما أنه لولا الراعي لأتت السباع على الماشية"[1].

وهذه النعمة الكبرى والمنة العظمى، تتفرع عنها نعم جليلة يسطع نورها على الفرد والمجتمع في مختلف الميادين والمجالات، فينعم بالطمأنينة والاستقرار، والتقدم والازدهار. ومن أهم مظاهر هذه النعمة ما يلي:

1- الأمن والاستقرار:

في ظل طاعة الحاكم ينعم المجتمع بنعم جليلة لا نستطيع أنْ نحصيها، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾[2]. ومن تلك النعم نعمةُ الأمن والاستقرار، فهي نعمة عظيمة وأثر من آثار وجود الحاكم، وحسن تدبيره لشؤون الرعية داخل البلاد وخارجها.

الأمن في ظل وجود الحاكم ركيزة أساسية من ركائز المجتمع المستقر، فالإنسان بطبيعته التي جبل عليها لا يستطيع أن يحيى في وسط الجوِ المعبأ بالخوف والذعر، كما أن الشعب الآمن شعب قوي، ومهاب جانبه.

كذلك عندما يسود الأمن تستطيع الدول أن تقيم حضاراتها؛ وتهتم بإمكاناتها وإمكانياتها، فتشيد بذلك مظاهر عمرانها وحضارتها، وينتشر في المجتمع العلم والتعلم، وتبرز الطاقات، وتكثر الخيرات.

وقد جعل الله تعالى الحرمان من هذه النعمة من أعظم الابتلاءات التي يمحص بها الصادق من غيره، فقال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**﴾[3].

---

[1] آداب الملوك ص33

[2] ابراهيم 34

[3] البقرة 155

يقول ابن جريرٍ الطبري عند تفسيره للآية الكريمة: "يقول: لنختبرنَّكم بشيءٍ من خوفٍ ينالُكم من عدوّكم، وبسَنَةٍ تُصيبُكم يَنالُكم فيها مجاعة وشدَّة، وتتعذَّر المطالب عليكم، فتنقص لذلك أموالكم، وحُروبٌ تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفَّار، فينقص لها عدَدُكم، وموتُ ذَراريكم وأولادِكم، وجُدوب تحدُث، فتنقص لها ثمارُكم؛ كلُّ ذلك امتحانٌ منّي لكم، واختبارٌ منّي لكم، فيتبيَّن صادِقُوكم في إيمانهم من كاذِبيكم فيه، ويُعرَف أهلُ البصائر في دِينهم منكم من أهل النِّفاق فيه والشك والارتياب كلُّ ذلك خِطابٌ منه لأتْباع رَسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم – وأصحابه"[1].

فهذه الآية فيها امتنان الله عز وجل على عباده بنعمة الأمن؛ فإذا كان الخوف والجوع، والنقص في الأموال والأنفس والثمرات، اختبارا وابتلاء من ربنا تعالى، فإن الأمن والوفرة في الأموال والأنفس، نعمة منه سبحانه وفضل كبير.

وقد امتن الله عز وجل على الناس بأن جعل لهم بيته الحرام مثابة لهم وأمنا، فقال عز من قائل: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا**﴾[2]. وقد أدرك سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عظم هذه النعمة وجليل قَدرها؛ فدعا ربه قائلا: ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾[3]، فقدم عليه السلام في دعائه طلب الأمن لهم على طلب الرزق. لأنه حتى لو وجد الرزق في غياب الأمن، لصعب التنعم به والاستمتاع بلذته.

وفي ظل الأمن يستطيع المرء أن يعبد ربه بطمأنينة وراحة وصفاء، لذلك كان من الأسباب الرئيسة لهجرة نبينا محمد صلَّى الله عليه وسلّم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة الخلاص من هذا الخوف والاضطهاد الذي كان يعيشه المؤمنون في مكة، ليجدوا التمكين والأمن في المدينة المنورة، ومن ثم يستطيع المؤمنون أن يعبدوا ربهم في أمنٍ وسكينة، قال الله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾[4]. وقال تعالى ممتنا على قريش بنعمة الأمن والأمان، بينما يتخطف الناس من حولهم: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ**

---

[1] جامع البيان 220/3

[2] البقرة 125

[3] البقرة 126

[4] النور 55

وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[1]. قال الطاهر بن عاشور عند تفسير قوله تعالى"وآمنهم من خوف": "ومعنى الآية تذكير قريش بنعمة الله عليهم إذ يسر لهم ما لم يتأت لغيرهم من العرب من الأمن من عدوان المعتدين، وغارات المغيرين في السنة كلها بما يسر لهم من بناء الكعبة، وشرعة الحج، وأن جعلهم عمار المسجد الحرام، وجعل لهم مهابة وحرمة في نفوس العرب كلهم في الأشهر الحرم وفي غيرها"[2].

وقد عد النبي صلَّى الله عليه وسلَّم الأمن من أجل النعمِ فقال عليه الصلاة والسلام: "مَن أصبَحَ آمِنًا في سِربِه، مُعافًى في جَسَدِه، عندَه طعامُ يَومِه، فكأنَّما حِيزَتْ له الدُّنيا"[3].

وثمة مظاهر كثيرة يحرص عليها الحاكم المسلم ويؤكد على أهمية وجودها؛ لأنها السبب الرئيس في وجود الأمن وانتشاره والحفاظ عليه في المجتمع، ومن ذلك حرصه الدائم على تطبيق أحكام الشريعة، فعندما يكون الأساس الذي يتحاكم إليه الناس هو النظام الإلهي، فإن في ذلك عصمة لهم من الظلم والحيف، وخلاص من المحاباة والمجاملة، فيعيش المجتمع في استقرارٍ وأمنٍ داخلي وخارجي. وهذا ما يحرص عليه الحاكم المسلم، فهو يتخطى كل العقبات، بحيث يرى الناس فيه القدوة العملية لأحكام الإسلام. فوجود الإمام ضرورة لازمة لنجاح تطبيق الشريعة في المجتمع، والتنعم بآثار هذا التطبيق فيه. كما يحرص على تطبيق مبدإ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي شرف الله به أمتنا المباركة، وفضلها به على غيرها من الأمم؛ فقال عزَّ وجل: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**[4]. وربط الله تعالى بين هذه الشعيرة وبين الفوز والفلاح، فقال عز من قائل: **﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[5]. إنه مبدأ عظيم تواصى به الأنبياء والمرسلون وأهل الصلاح على مر العصور وتعاقب الدهور، تتحقق بتطبيقه مصالح عظيمة، وتدرؤ به مفاسد جسيمة، فهو أصل في إثبات معاني الخير والصلاح بين العباد، واقتلاع جذور الشر والتخريب والفساد.

---

[1] سورة قريش 1-4

[2] التحرير والتنوير ج30/ص559

[3] رواه الترمذي وابن ماجة في السنن

[4] آل عمران 110

[5] آل عمران 104

وحرص الحاكم على تنفيذ مبدإ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أنجح الوسائل في إصلاح المجتمع واستتباب الأمن والسلام فيه.

إلا أنه أمر عظيم يتطلب تكاثف الجهود، وتوحيد الصفوف لتحقيق آثاره، فلذا كان توطيد الأمن وتثبيته على رأس الأمور التي اهتم بها ولاة أمور المسلمين عبر العصور.

2 – العدل بين الرعية:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون**﴾[1]، وقال أيضا: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[2].

في ظل شريعة الإسلام، وتحت لواء الإمام العادل يسود العدل، وينعم بفضله الناس جميعا. فأحكامه لا تحابي أحدا لأجل دينه، أو طبقته الاجتماعية، أو غناه أو فقره، أو لونه أو لغته. فالعدل في ديننا الحنيف يستمد أهميته من كونه صفة لله تعالى، والله لا يظلم أحدا من عباده فردا أو جماعة، بل هو الحكم العدل، قال عز من قائل: ﴿**وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[3]. وأمر رسوله محمدا ﷺ بالتمسك به مع المسلم وغيره، فقال عز وجل: ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**﴾[4]. ونزلت عليه الآيات الكريمة تدافع عن يهودي اتهم بجريمة السرقة ظلما وهو بريء منها، فندد بالمتهمين وهم منتسبون ظاهرا إلى الإسلام، ودافع عن المتهم بقوله عز من قائل: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا. وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا. يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا. هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا**﴾[5].

---

[1] النحل 90
[2] النساء 58
[3] ق 29
[4] الشورى 15
[5] النساء 105-108

ووعد الله عز وجل الإمام العادل بظله، يوم لا ظل إلا ظله، ولا باق إلا وجهه. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّه"[1]، وذكر على رأسهم الإمام العادل. فهو ظل الله في الأرض، ورحمته بين خلقه. فيه إنصاف للمظلوم، وعطاء للمحروم، يظهر الله به دينه، ويقوي به حجته، وينصر به الصالحين من عباده. وعليه تتوقف سعادة وطمأنينة المجتمع، إذ يأمن الناس على أعراضهم ودمائهم وأموالهم، فيجدون في العمل لصالح وطنهم، ويلتفون حول قائدهم، ويشعر هو أيضا بالأمن والأمان معهم. فمد جسور الثقة بين الحاكم المحكوم أساس ازدهار المجتمع واستقامة شؤونه.

3- التوازن والاعتدال في المجتمع:

إن من نعم الله تعالى على المجتمع الذي جمعت كلمته تحت لواء حاكم مسلم فهم روح الشريعة ومقاصدها، أن ينعم أفراده بحياة مطمئنة لا عنت فيها ولا شدة، ولا انحراف عن الجادة، وإنما تطبيق لمبدأ الوسطية والاعتدال الذي يعد سمة بارزة لشريعتنا الغراء.

فالوسطية في الإسلام تعني الاعتدال والتوازن بين طرفين متقابلين، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "إذا نظرت في كلية شرعية، فتأملها تجدها حاملة على التوسط. فإذا رأيت ميلاً إلى جهة طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر. فإذا لم يكن هذا ولا ذاك، رأيت التوسط لائحاً، ومسلك الاعتدال واضحاً، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعول الذي يلجأ إليه"[(2)]. ومن مظاهر الوسطية الاستقامة، إذ لا نستطيع فهم معنى الوسطية بمنأى عن فهم معنى الاستقامة. وقد وردت حقيقة الاستقامة في القرآن الكريم في أكثر من موضع، تارة بلفظ "الصراط المستقيم"، وأخرى بلفظ "صراط مستقيم"، و"صراطاً مستقيماً"، و"صراطك المستقيم"، و"صراطي مستقيماً".

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد رقم 660، ومسلم في صحيحه كتاب الكسوف، باب فضل إخفاء الصدقة رقم 1031

[2] الموافقات 167/3.

ففي سورة الفاتحة نجد قوله تعالى: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾[1]، يقول الرازي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: "فالمؤمن يطلب من الله أن يهديه إلى الصراط المستقيم، الذي هو الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في كل الأخلاق، وفي كل الأعمال"[2].

كما أن التوازن والاعتدال من سمات الوسطية التي جعلها الله تعالى صفة لهذه الأمة، وهي صفة فطرية تحقق سلامة السلوك البشري، وسعادة الإنسان وأمنه في كل المجالات. والحاكم المسلم يسهر على تحقيق التوازن في المجتمع مستنيرا بمنهج الله الخالد الذي حرص على تحقيق التوازن في كل جانب من جوانب الإنسان، متوجاً هذا المنهج الفطري الراشد بقوله ﷺ: "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي"[3].

ومن سمات الوسطية في ديننا الحنيف، التيسير ورفع الحرج، فقد جاءت الآيات واضحة في إرادته وقصده، ووصف شريعة الإسلام به. ومن المقرر في هذه الشريعة الغراء أن الأحكام الشرعية مطلوبة في حدود الوسع والاستطاعة، مما يدل على أن الحرج مرفوع، وأن الضرر يزال، وأن اليسر سمة من سمات هذا الدين، ومن خصائصه التوسعة على المكلفين.

إن هذه العناصر الثلاثة المتمثلة في الاستقامة والتوازن، بالإضافة إلى اليسر ورفع الحرج، تشكل السمات البارزة، والمعالم الكبرى للوسطية التي أمرنا الله عز وجل بالسير على نهجها في الحياة، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بوجود حاكم يمنع التيارات المتطرفة أن تعصف بالرعية، فتنجرف إلى الغلو والتشدد، أو إلى التفلت والانحلال.

---

[1] الفاتحة 6.

[2] مفاتيح الغيب 205/1.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل رقم 4897.

4 – الاستقرار الأسري:

حدد الإسلام مكانة الأسرة، وأشار إلى أنها قاعدة التكوين الأولى لبني الإنسان، فقال عز من قائل: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً**﴾[1].

شاءت إرادة الله عز وجل أن تبدأ الحياة وتنمو انطلاقاً من رحاب الأسرة، فخلق سبحانه وتعالى النفس الواحدة، وخلق منها زوجها، فكانت الأسرة من زوجين، ثم انبثت الأسر وانتشرت وقام المجتمع الإنساني.

إن الأسرة هي أساس المجتمع، واللبنة الأولى في بناء كيان الأمة، والنواة الأولى في تشييد حضارتها. بصلاحها يقاس صلاح المجتمع، وبفشلها وانهيارها وسيرها في مزالق الضياع والضلال يقاس إخفاق المجتمع وتقهقر الأمة.

وقد رغب ديننا الحنيف في بناء كيان الأسرة، وإقامة صرحها، وتكوين قواعدها، والحفاظ على جوها الصافي، وظلها الوارف أن تشوبه غوائل البغضاء، وبوائق الشقاق والشحناء. فكان أول ما عني به في تكوينها أن شرع الزواج وحث عليه، وجعله من آياته في الكون. قال تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها**﴾[2]. وقال رسول الله ﷺ : "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة* فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" [3] قال الإمام النووي: "والحديث فيه ترغيب في النكاح"[4].

كما جعل الدين والخلق أساس اختيار أحد الزوجين للآخر كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: تزوجت امرأة على عهد رسول الله ﷺ. فقال: يا جابر، أتزوجت؟ قلت: نعم. قال: بكراً أم ثيباً؟ قلت: ثيباً. قال: ألا بكراً تلاعبها. قلت: يا رسول الله، كن لي أخوات، فخشيت أن تدخل بيني وبينهن. فقال: إن المرأة تنكح لدينها ومالها وجمالها فعليك بذات

---

[1] النساء: 1

[2] الروم 21، بمعنى النكاح انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 60/1.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب: قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج لأنه أغض للبصر، وأحصن للفرج وهل يتزوج من لا إرب له في النكاح رقم 4667، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم رقم 2486.

[4] شرح النووي على مسلم 70/5.

الدين تربت يداك[1]. وأوصى الأولياء بقوله عليه الصلاة والسلام: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"[2]. وما ذلك إلا لتنشأ الأسرة في كنف حياة تتفيأ ظلال المحبة الصادقة، والإيمان الراسخ الذي يحمي من الزيغ والانحراف.

والتذكير بمكانة الأسرة في الإسلام له أهمية بالغة لما تمثله من منزلة سامية في هذا الدين الحنيف، ولما للعناية بها من أثر في صلاح المجتمعات، ولما للتفريط فيها من عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع.

ومن اعتناء الإسلام بالأسرة رفضه لأي علاقة خارج مؤسسة الزواج، وإحاطتها بسياج من الأحكام الدقيقة لحمايتها، والمحافظة على تماسكها. منها حثه كل واحد من الزوجين على إحسان العشرة، والقيام بالواجبات، للتقليل من فرص الشقاق، وزرع المحبة والمودة في قلب كل واحد منهما. كما حث على صبر كلا الزوجين على ما يلاقيه من الآخر، ووعد على ذلك بالأجر العظيم. قال تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**﴾[3]، وشرع العدة بعد الطلاق حفاظاً على الأنساب من الاختلاط، وفرصة يحق للزوج فيها مراجعة زوجته حسب ما بينه الفقهاء. كما شرع التحكيم، وهو أن يتدخل أهل الزوجين للإصلاح بينهما، قال تعالى: ﴿**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها. إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما**﴾[4].

كما جعل الإسلام العلاقة الزوجية واضحة المعالم، لا غموض فيها ولا التباس، فحدد المسؤوليات، وعين الواجبات، ورسم حدود هذه العلاقة النبيلة، وبناها على قاعدة أساسية تتمثل في قوله عز وجل: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة"[5]. فالواجبات التي فرضت على المرأة جعلت لها بمقابلها حقوق مكافئة. أما الدرجة التي ذكرتها الآية الكريمة للرجال، فهي درجة المسؤولية المادية والقوامة الأسرية، إلا أنها رئاسة وقيادة قائمة على التشاور، قال تعالى: ﴿**وائتمروا بينكم بمعروف**﴾[6]، وقال أيضاً: ﴿**فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما**﴾[7].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين رقم 2662.

[2] رواه الترمذي في سننه كتاب النكاح عن رسول الله، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه رقم 1004 وبان ماجة في كتاب النكاح باب الأكفاء رقم 1957.

[3] سورة النساء 19.

[4] سورة النساء 35.

[5] سورة البقرة 227.

[6] سورة الطلاق 6.

[7] سورة البقرة 233

فالمجتمع الناجح لا ينهض إلا بأسرة مترابطة متمسكة بكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ، فلذا كان ولي الأمر حريصا على الاستقرار الأسري، وذلك بحرصه على توفير السبل الكفيلة بتكوين مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة، الصحية والعقلية والاعتقادية والأخلاقية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم الإسلامية، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها. ويدخل ضمن ذلك السكن الملائم، و تشجيع التعليم، وإنشاء المؤسسات الثقافية المختلفة، والمراكز والمؤسسات الإصلاحية لتشجيع الشباب على الزواج، وتوعية الأسر بمهامهم، والسعي الدؤوب لإصلاح ذات بينهم.

المبحث الثاني: طاعة الحاكم أصل في الشريعة الإسلامية

إن السمع والطاعة لولاة الأمور أصل في شريعتنا الغراء، وعقيدة ثابتة نتعبد الله عز وجل بها، يقول الإمام الطحاوي: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية"[1].

والطاعة حق لولاة الأمور، ودين في عنق الرعية، قال ابن جماعة عند ذكره لحقوق ولي الأمر: "بذل الطاعة له ظاهرا وباطنا في كل ما يأمر به أو ينهى عنه"[2].

والسمع والطاعة لولاة الأمور أمر ثبت بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع العلماء لاسبيل لإنكاره أو مخالفته.

المطلب الأول: القرآن الكريم

يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾[3].

فالآية صريحة الدلالة على وجوب الطاعة لولي الأمر، وهي منبثقة من طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ. وقد اختلف العلماء في المراد بأولي الأمر في الآية الكريمة، فذهبت طائفة منهم إلى

---

[1] متن العقيدة الطحاوية ص 17

[2] تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ص 61

[3] النساء 59

أنهم الأمراء، وأخرى أنهم العلماء، وروي عن مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين أن المراد بهم أمراء سرايا رسول الله صلى لله عليه وسلم.

ورجح ابن جرير الطبري أنهم الأمراء فقال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة وللمسلمين مصلحة"[1]. وهو ما ذهب إليه الالوسي

عند تفسيره لهذه الآية الكريمة فقال: "بعدما أمر سبحانه ولاة الأمور بالعموم أو الخصوص بأداء العدل في الحكومة أمر الناس بإطاعتهم في ضمن إطاعته عز وجل وإطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2]، وقال الطاهر بن عاشور: "لما أمر الله الأمة بالحكم بالعدل عقب ذلك بخطابهم بالأمر بطاعة الحكام وولاة أمورهم؛ لأن الطاعة لهم هي مظهر نفوذ العدل الذي يحكم به حكامهم، فطاعة الرسول تشتمل على احترام العدل المشرع لهم وعلى تنفيذه، وطاعة ولاة الأمور تنفيذ للعدل، وأشار بهذا التعقيب إلى أن الطاعة المأمور بها هي الطاعة في المعروف"[3].

وذهب ابن العربي المالكي أن المراد بأولي الأمر الأمراء والعلماء جميعا، فنجده يقول: "الصحيح عندي أنهم الأمراء والعلماء جميعا، وأما الأمراء فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم. وأما العلماء فلأن سؤالهم واجب متعين على الخلق"[4]. وهذا هو أوجه الأقوال وأكثرها تحقيقا لمقاصد الآية الكريمة، لأن العلماء يحملون الأمة على تطبيق شرع الله تعالى إيضاحا وتعليما، والأمراء ينظمون شؤون الأمة، ويحفظون لها مصالحها، فلابد من طاعة الأمراء والعلماء معا لينعم المجتمع بالأمن والاستقرار، والرقي والازدهار.

المطلب الثاني: السنة النبوية

وردت نصوص عديدة عن النبي صلى الله سلم تؤكد وجوب طاعة ولي الأمر، وتبين عظيم حقه على رعيته، من ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

[1] جامع البيان ج3/ص2392
[2] روح المعاني ج3/ص92
[3] التحرير والتنوير ج5/ص 96
[4] أحكام القرآن ج1/ص574

الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"[1].

فالأمير في الحديث يشمل كل من ولي من أمر المسلمين شيئا، فأمر بالحق وكان عادلا بين الرعية، وليس المراد به من أمره النبي ﷺ بالإمارة فقط. وهذا ما أكده ابن حجر العسقلاني بقوله: "ومن أطاع أميري فقد أطاعني)، وفي رواية همام والأعرج وغيرهما عند مسلم (ومن أطاع الأمير)، ويمكن رد اللفظين لمعنى واحد، فإن كل من يأمر بالحق وكان عادلا فهو أمير الشارع، لأنه تولى بأمره وشريعته"[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك"[3].

قال أبو العباس القرطبي: "والمنشط والمكره مصدران، ويعني بذلك أن طاعة الأمير واجبة على كل حال، سواء كان المأمور به موافقا لنشاط الانسان وهواه أو مخالفا"[4].

وبين الإمام النووي معنى قوله عليه الصلاة والسلام: "وأثرة عليك" فقال: "وهي الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم. وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم"[5]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة"[6]. فهذه الأحاديث وغيرها كثير تحثنا على السمع والطاعة للحاكم في جميع الأحوال، تحقيقا للأمن والأمان، لأن الفرقة والشقاق سبب الفساد والذل والهوان.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" رقم 6604، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة ولي الأمر في غير المعصية رقم 3418

[2] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج16/ص608

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة ولي الأمر في غير المعصية رقم 3419

[4] المفهم ج4/ص36

[5] شرح النووي على صحيح مسلم ج12/ص225

[6] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن في معصية رقم 6609

المطلب الثالث: إجماع العلماء

كما ثبتت طاعة ولاة الأمور بإجماع الأمة، قال الإمام النووي: "أجمع العلماء على وجوبها في غير المعصية، -أي وجوب طاعة ولاة الأمور- وعلى تحريمها في المعصية، ونقل الإجماع على هذا القاضي عياض وآخرون"[1].

المبحث الثالث: كيف نشكر الله على نعمة الحاكم.

يقول الله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[2]، وآلاء الله بمعنى نعمه التي أسبغها على عباده، ففلاح العبد يكون في ذكرِ هذه النعم، وشكر الله عز وجل عليها، إلا أن هذا الشكر لا يكون فقط باللسان، وإنما يكون بالعمل الصالح واستشعار الخلافة عن الله عز وجل في أرضه، فيتصرف في هذه النعم بما يرضي المنعم بها سبحانه وتعالى. يقول فخر الدين الرازي رحمه لله مبينا معنى قوله ﴿**فاذكروا آلاء الله**﴾: (لَا بُدَّ فِي الْآيَةِ مِنْ إِضْمَارٍ وَالتَّقْدِيرُ: وَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَاعْمَلُوا عَمَلًا يَلِيقُ بِتِلْكَ الْإِنْعَامَاتِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَإِنَّمَا أَضْمَرْنَا الْعَمَلَ لِأَنَّ الصَّلَاحَ الَّذِي هُوَ الظَّفَرُ بِالثَّوَابِ لَا يَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ التَّذَكُّرِ، بَلْ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ"[3].

وشكر الله تعالى على نعمة الحاكم يتم بأمور عديدة من أهمها ما يلي:

المطلب الأول: مبايعته وامتثال أوامره

إذا انعقدت الإمامة لولي الأمر من أهل الحل والعقد، وجب على الجميع مبايعته على السمع والطاعة، وذلك بالطرق المختلفة التي حددها الفقهاء في كتب الفقه والسياسة الشرعية، ومن أبى المبايعة يجبر ويقهر عليها، وذلك لجمع كلمة المسلمين واتحاد صفوفهم. قال الإمام القرطبي رحمه الله: "إذا انعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد، أو بواحد كما تقدم، وجب على الناس كافة مبايعته على السمع والطاعة، وإقامة كتاب الله تعالى وسنة رسوله، ومن تأبى عن البيعة لعذر عذر، ومن تأبى لغير عذر جبر وقهر، لئلا تفترق كلمة المسلمين"[4].

---

[1] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج12/ص426

[2] الأعراف 69

[3] مفاتيح الغيب ج14/ص302

[4] الجامع لأحكام القرآن ج1/ص272

وقد صرح النبي ﷺ بأن من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة الجاهلية، وذلك في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: "من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة الجاهلية"[1].

فعلى الرعية مبايعة ولي الأمر على السمع والطاعة في السر والعلن، وفي الشدة والرخاء، ولا يجوز لهم الخروج عنه ولو رأوا منه ما يكرهون، حفاظا على نعمة الأمن في البلاد، وتوحيدا للصف وسلامة العباد.

المطلب الثاني: عدم الخروج عليه

سبقت الإشارة إلى أن طاعة ولاة الأمور، وعدم الخروج عنهم أصل في شريعتنا الغراء. قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم"[2]. وقد بين ذلك رسول الله ﷺ في أحادث كثيرة، منها ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: "من كره من أميره شيئا فليصبرعليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج عن السلطان شبرا فمات عليه، إلا مات ميتة الجاهلية"[3].

فالحديث صريح في تحريم الخروج على ولاة الأمور، وقد شبه النبي ﷺ من مات و ليس في عنقه بيعة لهم بمن يموت ميتة الجاهلية، و قد علل أبو العباس القرطبي سبب ذلك التشبيه بقوله: " ان أهل الجاهلية كانوا لا يبايعون الإمام، ولا يدخلون في ذمته، فمن كان من المسلمين مثلهم، فإنه سيموت على مثل حالهم مرتكبا كبيرة من الكبائر، ويخاف عليه بسببها ألا يموت على الإسلام"[4].

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة، ومفارقة الجماعة رقم 3441

[2] متن العقيدة الطحاوية ص 17

[3] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن في معصية رقم 6530، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج لى الطاعة وملازمة الجماعة رقم 3439

[4] المفهم ج4/ص59

وطاعة الحاكم من أهم مظاهر شكر الله تعالى على هذه النعمة الكبرى، خاصة وأنه تعالى أمر بذلك في كتابه الكريم، وعلى لسان نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، لما لهذه الطاعة من الأثر العظيم على الفرد والمجتمع والناس أجمعين.

المطلب الثالث: الصدق في محبته والدعاء له

بعدما رأينا فضل الحاكم في ديننا الحنيف، وأنه نعمة كبرى يتفيأ ظلالها الأفراد والمجتمعات، وتقوم بها الدول وتبنى الحضارات، كان لزاما على الرعية الصدق في محبته، والإخلاص في طاعته، وبذل النصح والدعاء له.

فمن حقوق ولاة الأمور على الرعية الدعاء لهم بالخير والصلاح، والعزة والفلاح، فرب دعوة استجيبت كان فيها نفع للعباد والبلاد، قال الإمام الطحاوي: "وندعو لهم بالصلاح والمعافاة"[1]. وكذلك واجب على الرعية عونهم وبذل النصح لهم، فقد جاء ذلك على لسان رسول الله ﷺ فيما يرويه تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم"[2]. قال الإمام النووي: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم"[3]، وهوما بينه ابن دقيق العيد عند شرحه لهذا الحديث بقوله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، وتبليغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم بالسيف، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم والصلاة خلفهم والجهاد معهم وأن يدعو لهم بالصلاح"[4].

هذه هي النصيحة بمفهومها الواسع، نصيحة صادرة عن محبة خالصة، وطاعة ويقين بأن الحاكم العادل ظل الله في أرضه، وأن من كان في عونه وخدمته نال الثواب الجزيل، والأجر العظيم من الله تعالى، إلا أن النصيحة لولاة الأمور يجب أن تصدر من أهلها كالفقهاء والعلماء، فهم العارفون بأحكام الدين، ومصالح المسلمين، فضلا عن معرفتهم بأساليب النصح وآدابه. فنضرع إلى الله عز

[1] متن العقيدة الطحاوية ص 17

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ان الدين النصيحة رقم 82

[3] المنهاج في شرح صحيح مسلم ج1/ص 227

[4] شرح الأربعين النووية ج1/ ص52

وجل سائلين أن يحفظ قادة المسلمين، وأن يديم على أمتنا - وهي خير الأمم - الأمن والأمان والسلامة والسلام إلى يوم الدين.

خاتمـــة:

كشف هذا البحث في مختلف مراحله على أن الحاكم المسلم نعمة من نعم الله تعالى، يأمن به الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وتستقيم به معيشتهم. وقد أفاض العلماء قديما وحديثا في الحديث عن فضله، وبيان حقوقه على رعيته، إدراكا منهم لعظيم شأن الولاية وضرورتها لقيام الدولة واستمرارها.

كما أن طاعة ولي الأمر أصل من أصول عقيدتنا، أمرنا بها القرآن العظيم، وأكدها الرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وأجمعت على وجوبها الأمة، وأكد عليها أئمة الإسلام في كتب الفقه، والعقيدة، والسياسة الشرعية وغيرها.

وكشف البحث كذلك عن آثار هذه النعمة العظمى فيما ينعم به المجتمع الملتف حول قائده من أمن وسلام، ورفق ولين في تطبيق القوانين والأحكام. هذا فضلا عما تنعم به الأسر من استقرار وسكينة حرص الحاكم على توفير سبلها وما يترتب على ذلك من بناء المجتمع وازدهاره.

وكشف آخر المباحث عن دور الرعية تجاه حاكمهم، بأن يكونوا له عونا وسندا على مهامه الجسيمة، وواجباته العظيمة، وأن يتحلوا بالصبر معه، ويصدقوا في محبته وبذل النصح والدعاء له.

فهرس المصادر والمراجع

- أحكام القرآن لمحمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت543هـ، تحقيق مُحَمَّد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى 1408هـ – 1988م، دار الكتب العلمية بيروت.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد البصري الشهير بالماوردي ت450هـ، تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية بيروت، 1424هـ - 2003م.
- آداب الملوك لأبي منصور عبد الملك بن مُحَمَّد بن إسماعيل الثعالبي ت 429هـ، تحقيق الدكتور جليل العطية دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية 1426هـ - 2005م.
- بصائر وأفكار للأستاذ الدكتور فاروق حمادة المستشار الديني بديوان سمو ولي عهد أبو ظبي، الطبعة الأولى 1334هـ - 2013م.
- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لشيخ الإسلام مُحَمَّد بن إبراهيم بن جماعة ت733هـ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، مطبعة دار الثقافة 1408هـ - 1988م.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي ت 1393هـ، الدار التونسية للنشر، تونس.
- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ت774هـ، تحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ – 1999م.
- تفسير فخر الدين الرازي "مفاتيح الغيب" لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الملقب بالرازي ت 606هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1420هـ - 1999م.
- تفسير الإمام القرطبي " الجامع لأحكام القرآن" لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري ت 671هـ، الطبعة الأولى 1416هـ - 1995م، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري ت 310هـ، تحقيق أحمد عبد الرزاق، ومُحَمَّد عادل مُحَمَّد، ومُحَمَّد عبد اللطيف خلف، ومحمود مرسي عبد الحميد. طبعة دار السلام القاهرة، الطبعة الرابعة1430هـ - 2009م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد الألوسي البغدادي ت1270هـ، طبعة دار الحديث مصر 1426هـ - 2005م.
- سنن أبي داود بن الأشعث السجستاني ت275هـ، دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م.
- سنن ابن ماجة: مُحَمَّد بن يزيد القزويني ت275هـ، تحقيق مُحَمَّد ؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت 1395هـ - 1975م.

- سنن الترمذي: أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي ت279هـ، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت 1419هـ - 1998م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت 676هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية 1392هـ - 1972.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت 542هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية بيروت 1422هـ – 2001م.
- صحيح مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري ت256هـ، مراجعة وضبط مُحَمَّد علي القطب وهشام البخاري، الطبعة الخامسة 1420هـ - 1999م، المكتبة العصرية صيدا بيروت.
- صحيح مسلم بن الحجاج القرشي النيسابوري ت261هـ، دار صادر بيروت 1397هـ - 1977م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ت852هـ،
- طبعة دار الفكر بيروت 1416هـ - 1996م.
- الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الشاطبي ت 790هـ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان الطبعة الأولى 1417 – 1997م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن الأثير الجزري ت 606هـ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1423هـ، 2002م.